

فصاروا يمدونه مثلنا من ضروراته. وتبدأوا يشعرون بأن تعدد الزوجات من ضرورات الاجتماع أيضا ووجد من نسايم داعيات اليه لاسما في بلاد الانكليز حيث زيد عدد النساء على الرجال ضعفين فيكثر الزنا ويكثر عدد النساء اللواتي لا عائل لهن كما بيناه في مقالة مستقلة بالنقول والشواهد عن جرائد انكلترا (راجع ٤٨١ م ٤) وإنما نعتبر أن تأييد سير العمران وحوادث الزمان لاحكام الاجتماع في الاسلام من جملة الدلائل والبراهين على صحة أصله وكونه وحيا من الله تعالى لا وضعا من حكماء البشر كما يتوهم الملحدون. وقد طال بنا الكلام والمسألة تحتاج زيادة في البسط نرجئه الى فرصة أخرى

باب رد التبريات عمه الاسلام

(أحياء الإسلام لمدينة اليونان والرومان والمصريين)

ذكرنا في آخر الجزء الماضي ان المقنطف الاغر قرظ كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) وانتقد في تقريره التمثيل الذي أوردناه في مقدمة الكتاب مورداً انتقاده في صورة سؤال يستحب أن يسمع جوابه ان كان عندنا جواب، وها نحن أولاء نوافيه بما يجب بعد اراد السؤال أو الانتقاد. قال الكاتب الفاضل بعد ذكر اسم الكتاب ونسبته الي من نسب اليه: «وهو مقالات نشرت في مجلة المنار الإسلامي ثم جمعت على حدة في كتاب. قال حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في تمهيد وضعه لها ما نصه:

«يبوع تفجر في أرض وفاض ماؤه على غيرها فأحيا الأرض بعد»

موتها ولكن القامنين على حراسته وتماهده وضموافوقه أنقاذ آمن خراب
 جيرانهم فغيض الماء وما بقي منه سائر مستنقعات تحتوى . ولم يلبث بعد
 ما غاض أن قاض منه شيء في مواضع أخرى فاضع أهلها به وحافظوا عليه
 ولكن الأكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما أن أكثر أهل ينبوع
 المنتسبين إليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تفجر من تلك المواضع
 فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم وأنهم لو أزلوا عنه
 تلك الانتقاض قاض ورجع إليهم به خصصهم ونمؤم كما حسن ما كان لأنهم
 تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للاحياء . ذلك مثل المسامين اليوم مع
 الامم الغربية الحية الراقية . أخذ التريوت من الاسلام كل أصول
 الإصلاح الذي هم فيه .

(ثم قال الكاتب بعدما نقل هذه الجملة ما نصه :) « وبأحيداً لو بين
 لنا حضرة الاستاذ الفاضل من أين أتى الماء الذي أحياء مدينة اليونان والرومان
 فأنشأوا به الحدائق والجنات والماء الذي أحياء مدينة المصريين الأقدمين
 فبعيت آثارهم الصناعية الى الآن لم يقو ملوك العرب على محوها مع ما بذلوه
 في ذلك من العناء وآثارهم الأدبية مرسومة في صنائع الصغور وتعلم اسمي
 الفضائل وأفضل الآداب . »

﴿ جواب المنار ﴾

كنا بالأوس أو بالأوس نرد شهادات بعض المتذللين على مؤانيد
 العز ، والمتجهين على النظم في الاستلام بغير فهم ، ونحن اليوم إنما نذكر
 علماً غزير المادة واسع الاطلاع ونناظر أدبياً ذكي النواد ؛ دقيق الانتقاد ؛
 إلا أن قلعه عثر في هذا الميدان وقد يكبو الجواد ؛

من حسنات المقتطف أنه ينتقد الكذب التي يقرؤها ولا يتبع سنن الجرائد في مدح كل ما يهدى إليه من كل وجه وإن كان مذمومًا من وجوه كثيرة . وانتقاد الكذب التي تنشر بين الناس أمر نافع ولكنه وعسر المسلك لأن وقت كتاب المجلات والجرائد قصير يضيق عن قراءة كل ما يهدى إليهم من المطبوعات لانتقاده ولأن أصحاب تلك المطبوعات من المؤلفين أو الناشرين يألمون من الانتقاد وإن كاذبًا وحقًا ومقنمًا . وبعض الانتقاد يؤلم الجماهير من الناس إذا كانوا على خلاف رأي المتقدم . فالنصدي للانتقاد مع هذه العورة في طريقة يمد فضيلة توجب الثناء والشكر على من يعرف فوائد الانتقاد في تبجلي الحقائق وتحري الصواب وتنقيح العلوم والفنون . واقد قلت من قبل قولاً في ذلك كشفت به عما في نفسي وهو : سواء غندي من مدح قولي ومن انتقده لأنني في حاجة إلى معرفة ما يستحسن منه وما يستقبح على سواء بل ربما كنت أخرج إلى معرفة موضع النقد ، مني إلى معرفة موضع الحمد ، لأن هذا أبعث على إصلاح العمل ، وأهدى إلى توقي الزلل ،

أما عثرة المقتطف فهي ظاهرة لأول وهلة في تحويل التمثيل عن موضعه فإنه صريح في كون الكلام في « المسامير » يؤم مع الأمم العربية الحية الراقية » لامع المصريين الأولين ، ولا مع اليونانيين والرومانيين ، وصريح في كون الأمم الحية أخذت من ينبوع الإسلام كل أصول الإصلاح الذي هم فيه . وهذه المسألة المجلدة في مقدمة الكتاب مفصلة بعض التصيل في الكتاب نفسه ولذلك لم يطلب المتقدم بيانها لأنه طلب تحصيل الحاصل أما مدينة المصريين واليونان والرومان فالناقد يعلم أنها قد ماتت قبل

ظهور الاسلام وإن بقي لها آثار تدل عليها ويعلم ان الاسلام أحياءها بعد موتها فأنشأ أهله - لا أهلها - بها حدائق العلم والعمل في بغداد وه مصر وقرطبة أو في الشرق والغرب والوسط ومن هذه البلاد انتقل العلم والمدينة الى الامم الغربية الحية بلا نزاع

ولم يكن الكلام في ذلك التمثيل في المدينة الصناعية وإنما كانت في الاصلاح البشري اي الاصلاح الذي ارتقت به عقول البشر وتهذبت نفوسهم وتوثقت روابطهم الاجتماعية وعرف بعضهم لبعض حق الانسانية فاذا كانت تلك الامم التي سبقت الاسلام بالمدينة الصناعية وبن أهلها أهرا ما لم يبين مثلها المسلمون فالاسلام قد أفاد البشر ما لم تفده تلك الصناعة أفادهم ارتقاء في العقول علمهم أن تلك الأهرام وما يشابهها قد بنيت باستعباد البشر وأسر أرواحهم واشباحهم وتسخير الملايين منهم لخدمة شهوة ملك من الملوك الظالمين أو لخدمة وساوسه الدينية

علمهم أن تلك المدينة كانت تسحر إمامها المحصور في طبقة مخصوصة أبصار الأمة وتخيل للناس ما ليس له حقيقة فتستبرههم وتحملهم على الخضوع الاعمي لأولئك الرؤساء الضالين المضالين ، الفارين المغرورين

علمهم كيف يحكمون على اليونانيين بفساد الفكر في الخضوع لآلهة لا وجود لها الا في الخيال وتحكم تلك الأوهام في مدنيتهم وحربهم وصناعتهم فريكل جوبيتير الذي يدهش الناظرين بدع صناعته هو آية على ان تلك المدينة الصناعية كانت مقترنه بضلال العقل وفساد الفكر في المسائل التي يمتاز بها البشر على النحل والنمل الأبيض والعنكبوت وهي حشرات أتقنت أعمالها من الصناعة كانت فيها من أساندة الإنسان كما يقول بعض العلماء

علمهم كيف يحكمون على شرائع تلك الامم وقوانينها بالظلم وهضم حقوق الانسان بما يفضلون شعوبهم على سائر الشعوب في الحقوق فإنه لم توجد رعية وضعية ولا مساوية معروفة قبل الاسلام تساوي بين أهلها وبين جميع من يقبل حكمها من المخالفين وان كانوا قوما معادين « ولا يجزئ منكم شأن قوم على أن لا تاملوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خير بما تعملون » وهذه الآية من سورة المائدة التي هي آخر القرآن نزولا ومعناها لا تحمّلنكم معاداة قوم على ترك معاملتهم بالعدل فان العدل واجب مع الولي والعدو لانه من تقوى الله الخبير بالأعمال والمجازي عليها. والمصريون كانوا يستعملون ظلم غير المصري بل يعبدونه تعبيدا لملكهم كما فعلوا بالاسرائيليين . وكذلك اليونان والرومان وهذا تاريخ اليهود شاهد بان الرومان قد ظلموا الاسرائيليين ظلما يضاهاى ظلم المصريين لهم . فإين هؤلاء وأولئك من معاملة الاسلام لليهود . تقدمت الذكرى في الجزء الماضي بمساواة عمر بين علي بن أبي طالب (وما أدراك من هو) ورجل آحاد اليهود . وعندنا ما هو أعظم من ذلك وأشرف

روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم عن زيد بن أسامة وكان من أحبار اليهود أنه ابتاع من النبي صلى الله عليه وسلم تمرا الى أجل وأعطاه الثمن فلما كان قبل الأجل يومين أو ثلاثة أتاه يطالبه بالتمر (قال) : فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضيني يا محمد حتى فوالله إنكم يا بني عبد المطلب مُطلُّن : فقال عمر : أي عدو الله أنقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك : ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى

عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال : أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر -- أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به فاقضه وزده عشرين صاعاً كان مارئته « ففعل ثم أسلم هذا الخبر الجليل وقال بعد ذلك إنه فعل ما فعل ليختبر أخلاق النبوة وعلاماتها فلما رآها كملت فيه عليه السلام آمنت به

وجملة القول إن الإسلام علم البشر أصول السعادة الحقيقية التي لم تكن معروفة عند المصريين ولا اليونان ولا الرومان وأهمها (١) صقل العقول بصقال التوحيد الخالص وتطهيرها من صدى الخرافات والأوهام ليكون الفكر مستقلاً فيما يمتد يرفض التقليد ويعتمد على البرهان . و(٢) بيان ان لا يكون سننا ونواميس ثابتة ينبغي ان يهتدي بها الانسان في سيره العلمي والعملية . و(٣) توسيع دائرة الجنسية بجعل شريعته تساوي بين جميع الامم والملل اذا قبلوا حكمها وقد كانت جنسية المصريين مصر واليونانيين أثينا والرومانين رومية و(٤) القصد في المعيشة فقد اسرف القوم في الشهوات اسرافاً صاروا بها سراً من البهائم ولو شئت أن اسرد محاسن الإسلام وأعدد مساوي تلك المدنيات القديمة خرجت من جواب سوأل الى تأليف اسفار كبيرة وقد نشرنا في الجزء الماضي نبذة معربة من كتاب أميل القرن التاسع عشر في انتقاد آداب اليونان والرومان وفيها عبرة لمن اعتبر

فإن قيل ان النصرانية قد سبقت الإسلام الى إخراج اليونان والرومان من ظلمة الوثنية أقول أولاً إن النصرانية لم تنتشر في تلك الامتين الا بعد ما داخلها هي الوثنية وليكنها قرينهم من التوحيد لانها نقلتهم من عبادة مخلوقات

كثيرة الى عبادة مخلوق واحد على أن فيه معنى من الألوهية مركب من ثلاثة أقانيم . وثانياً ان النصرانية لم تجتمع مع مدنية الأمتين وإنما أجهزت عليها حتى تحت تلك العلوم قبل أن تبلغ كمالها ، وطمست تلك الاعمال الصناعية وشوهت جمالها ، وما زالت في تدل وانحلال ، حتى جاء الاسلام فانتاشها من براثن الانحلال ، ذكر المؤرخون أن المسيحية تمكنت في أئنا أثناء القرن الخامس وفي أول القرن السادس قطع يوستينانوس أجره المعلمين المومنين في أئنا ومنع تعليم الفلسفة لأن المدارس كانت مضره بالنصرانية ومن ذلك الوقت أخذت أئنا بالانحطاط

ونظم القول بنف من التاريخ في مساوي وخرافات اليونان والرومان الذين يباري المنطق بهم الاسلام . قال في برهان البيان : « بينما كان الرومانيون مختلفين بعمل موسم تشریف لروح قيصر إذ ظهرت نجمة ذات ذنب طويل ومكثت سبعة أيام فظنت الأمة الرومانية أن روح قيصر صعدت الى السماء وتصورت بهذه الصورة وانتظمت في سلك العالم العلوي !! فلولا وجد من الروانيين من يقول كما قال النبي الامي (عليه الصلاة والسلام) لقومه عند ما كسفت الشمس يوم مات ولده ابراهيم وظنوا أنها كسفت لموته : « ان الشمس والقمر آياتان من آيات الله لا يكفان موت أحد ولا لحياته »

وجاء في ذلك التاريخ أيضاً : كان من ثوابت عادات اليونان وأهل آسيا بناء هياكل للسلوك بل ولكبار الحكام ليكون ذلك أقوى في الدلالة على الانقياد والعبودية . وأما الرومانيون فكانوا يعبدون اسلافهم في معابدهم الخاصة فقط : ثم ذكر انه من عهد رومولوس الى عهد قيصر لم ينتظم أحد

في سلك الآلهة التي لها هيكل ومعابد عامة
 ومن ظلمهم ان طيباريوس اخذ الدنانير الفاضلي بمقوبة كل من ياتي
 الى الامة الرومانية آله للانتقام كما يشتهي . وكانت الامة استمدت لذلك
 من زمن اغسطوس الذي سلب الامة حق التشريع والحكم في احوالها
 الشرورية التي السادت في عهد طيباريوس الذي سلب الامة حق الاحتساب
 أيضاً لانه كان يعاقب كل من منهم يقول او يفتخر بشيء من انتماءه الى الامة
 وكل الامة كانت عيونها ولا بد للناس من ان يفتخروا بشيء من انتماءهم الى الامة
 والاشارة الى انهم يحاسبون الناس على جرائمهم وما يقبضونهم ولم يكن
 القضاء يتوهمون في حكم على المتهم بأحد اشبه . وكانوا يعاقبون على سوء
 لا تخاطب في بال احد من أهل الممالك المستبدة التي فيها يشبه تلك المظالم في
 اليوم . من ذلك ان طيباريوس اخذ رجلاً باع بيته وكان فيه صورة الاله برانتور .
 وان دو ميناوس حكم بالقتل على امرأة علم أنها رعت نبتتها تمام صورته !!
 قبل كانت تلك المدينة محتوية في سلاحها التي يشوع الدين في تلك المدينة التي
 يستوي فيها الخليفة مع أدنى السوقة من غير المسلمين في الحدوق منهم إنها
 كانت في أشد الحاجة اليه ولذلك انتشر نور الاسلام بسرعة البرق
 وقال صاحب برهان البيان : ولما كان الرومانيون متعودين على
 التلاعب بالطبيعة البشرية في أولادهم وأرقائهم كما يعلم ذلك بالوقوف على
 قوانين الرومانيين المتعلقة بحكم الآباء والامهات على أولادهم كان لا يمكنهم
 غالباً معرفة ما نسميه إنسانية وهي فضيلة الرفق وإذا كانت عادة الملة
 الجبر والقسوة في الحالة الداخلية الملكية فكيف ينتظر منها الرفق والعدالة
 الطبيعية . وكثيراً ما يطلع القارىء في تاريخ القياصرة على قتل أناس كثيرين

لقصد مجرد ضبط أموالهم للدولة: — ثم قال — : ومن نظر في مرآة تاريخ الرومانيين رأى فيها صور الأشياء البشرية فيجد في هذا التاريخ كثيراً من الحروب الواقعة والدماء المسفوكة والدمار المدمرة ووقائع الجسيمة، والنصرات العظيمة، والتدابير الجمة، والحكمة البالغة، والاحتراس والثبات والشجاعة، ويجد فيه أيضاً تصميم الزية على التغلب على كل شيء وأنه حصل كما ينبغي واستمر وانتهى كذلك وأنه لم يترتب عليه إلا إسعاد خمسة رجال أوستة من الأشرار: نقول: فهل كانت مثل هذه المدينة محتاجة إلى ينبوع العدالة الإسلامية لإصلاحها وإحياء النفوس التي أماتها الظلم والجبروت؛ نعم كانت في أشد الحاجة إلى هذا الإصلاح ولذلك قبلت الإسلام بسهولة. ونسكت الآن عن الكلام في فساد أخلاق الرومانيين وتهتكهم في الخلاعة والفسق وانغماسهم في الترف والملاذوفساد أخلاقهم الشخصية فقد أوغلوا في ذلك إغلالاً مدهشاً يثبت أن أرواحهم ماتت وكانت محتاجة للإحياء. وهنا يخاطر في بال القارئ أن النصرانية هي التي سبقت لإصلاح نفوسهم وإحياء مدنيتهم التي أماتها الظلم والفسق ونقول إن النصرانية مهدت بعض التمهد للإسلام ولكنها لم تكن محيية بل كانت مجرزة على تلك المدينة كما أشرنا إلى ذلك في مسألة مدينة اليونان

(تأثير النصرانية في المدينة الرومانية)

جاء في تاريخ القرون المتوسطة أن النصرانية لم تكفد تنتشر وتقوى في بلاد اليونان والرومان ومنها بلاد مصر حتى رأى رؤسائها وأجوب هدم الهياكل وكسر التماثيل ونحو الصور اليونانية والرومانية لأنها آثار الوثنية فقاموا بهذا الواجب حتى محوا آثار صناعة البناء والفنون الجميلة أو كادوا ولولا

أن بعضهم رأى تحويل بعض الهياكل الى كنائس لما بقي لتلك الامم أثر في الوجود . وقد أصدر تاوديسيوس أمراً رسمياً بهدم الهياكل وتكسير الصور سنة ٣٩٠ للميلاد . ثم رأوا أن في علوم تلك الامم خطراً على النصرانية فظفقوا بحرقونها في كل مكان فقد أحرقت مكتبة الاسكندرية بأمر تاوديسيوس سنة ٣٩٠ للميلاد وأحرقت مكتبة اوكتوغونه في القسطنطينية سنة ٤٧٦ للميلاد وحملت الحمية الدينية لاون اللوزرياني على تحريق ما بقي من الكتب سنة ٧٣٠ . وكان في هيكل پولون بلائين بمدينة روميه مكتبة فيها أنفس كتب الآداب من عهد غسطوس فكانت غيرة البابا اغرغوار وتقواه عاملتين على إحراقها وحرمان الناس من تلك الوديعة التي جعلها العالم وارون في حياة إله الشعر وكنفه . (على اعتقادهم)

والامر الذي لا خلاف فيه هو ان انحطاط الامة الرومانية كان مقارناً لانتشار النصرانية فيها . فالوثنيون الرومانيون كانوا يقولون إنها هي السبب في ذلك الانحطاط والنصارى يقولون ان ذلك كان لأسباب سابقة ولكن لماذا أجهزوا على تلك المدينة ولم يصلحوها وبقوا من أضرارها بدلا من محوها وطمس معالمها وماذا أتى النصارى للعرب ، بقوا لهم إلا نرا من الكتب أحيوها به أما تمهيد النصرانية للاسلام الذي أشرنا اليه فهو إضعاف تلك الوثنية وإضعاف تلك الحمية الجاهلية وذلك السرف في الترف بالفلو في الزهادة والانتطاع الى العبادة ثم إضعاف الامة بالخلاف في الدين والتنازع بين دولة القياصرة ودولة الرهبان والاساقفة وانتصار هؤلاء ومحكمهم بخرافاتهم في الامة . فالذي مكن المسلمين من الانتارة على عقبة والاستيلاء على سيرا قوسة هو إزام القسيسين القيصر باسياء الأول المندوني بأن يشغل الجيش ببناء كنيسة

القديس ميخائيل وكذلك الرموا خلفه القيصر ليون بأن يشغل عسكر
الاسطول بمثل ذلك فتيسر بذلك للمسلمين الاستيلاء على جزيرة انوس
وأما خلافتهم في عبادة الصور وما نشأ عنه من التنازع والفشل حدث عنه
ولا حرج. ثبت بذلك ان النصرانية قد زادت اليونان والرومان جهلا ووهنا
فكانه ابذل في أشد الحاجة الى ذلك ينبوع الذي فاض في أرض العرب
وتفجر ماؤه على غيرها فأحيا البلاد والعباد كما هو شأن الأنهار والينابيع تفيض
من مكان وتحيي ما تسير اليه. وصح تميمنا حتى على الوجه الذي صرفه
اليه. كثرة النماذج محرر المتكلم الاغمر. وهذا جواب سؤاله بالاختصار

لاحقة سجل جمعية أم القرى

يقول (السيد المرآتي) انه بعد تفرق الجمعية نحو شهرين ورد الي من صاحب
الذي كتابت مذاكر فيه انه بعد مفارقتها مكة المكرمة اجتمع بأمر جليل فاضل من
أعظم تلاء الأمة ورجال السياسة. فاستطلع رأي الأمير في شأن النهضة الاسلامية
وبعد ان دار بينهما حديث طويل تحقق من خلاله سمو فكر الأمير والتهاب غيرته
ذكر له اطلاع على سجل جمعية أم القرى وأشياء من مذاكرتها ومقرراتها فأظهر
الأمير سرور من الخبر وشديد شوقه للاطلاع على السجل الذي ذكره له فمضت
وعده بإعارته نسخة من السجل ثم أرسلها اليه وبعد ايام تلاقيا فدارت بينهما المحاوراة الآتية
قال الأمير: أشكر لك أيها صاحب هذه الهدية العزيزة وبالذلة لمة أحييتها في
ظلمة تلك المذاكرات النفيسة التي لم أتمالك ان أتركها تلك الليلة حتى أتيت على
آخرها ثم في الايام التالية أعدت النظر فيها بالتدقيق.

قال صاحب: يظهر من عبارة مولاي الأمير استحسانه كيفية تشكل الجمعية
واستانه من مجرى مذاكراتها.

قال الأمير: كيف لا أعجب بذلك واعلم ان كنت أعني انقاد جمعية يتضافر
أعضاؤها على مثل هذا المقصد وتكون فيهم المزية التي ظهرت على رجال هذه الجمعية